مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

الأبعاد الدّلائليّة لأسماء الشّخصيّات في ثلاثيّة الشّمال لمحمّد ديب

The semiotic dimensions of characters names in the northern trilogy of Mohamed Dib

أ.د محمّد كعوان
kaouane1970@gmail.com
المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبّار – قسنطينة
د. مريم بوزردة
meriembouzerda@yahoo.fr
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصّوف – ميلة

تاريخ الإرسال: 2018_06_04 تاريخ القبول: 2019_07_10

الملخص:

يسعى هذا البحث لكشف الأبعاد السيميائية لدلالة أسماء الشخصيات الورقية في «ثلاثيّة الشّمال» لمحمد ديب. وذلك من خلال تتبّع الاستراتيجيّة الّتي تبناها السارد في انتقاء أسماء شخصياته الرّئيسة، ولا يكون ذلك ممكنا إلا بعد فكّ شفراتها الرمزية؛ النصية والسياقية، سعيا للوقوف على مدى إسهامها في بناء المعنى، وإنتاج الدّلالة. إيمانا منا بأن أسماء الشخصيات في ثلاثية الشمال تمثل وحدة دلالية، وعلامة قابلة للوصف والتحليل، وليست علامات فارغة، بقدر ماهي ممتلئة، وقابلة للتأويل.

الكلمات المفتاحيـــة: محمد ديب . ثلاثية الشمال . انتقاء الأسماء. الشخصيات الرئيسية. إنتاج الدلالة

Abstract:

This study aims to shed light on the semantic dimensions of the proper names of characters in Mohamed Dib's "Trilogy of

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

the North" through his strategy of choosing names of main characters according to symbolism, allegory, and generic style. The study also aims to determine that proper names are not meaningless in the "Trilogy of the North"; they are significant indicators of meaning construction and semantic interpretation.

Keywords: Mohamed Dib; Trilogy of the North; proper names; characters; meaning significance

المقدمة:

يُعدُّ مُكوّن الشّخصيّة من أهمّ مكوّنات البنية السّرديّة؛ لكونه لبنة أساسيّة ودعامة محوريّة في البناء الرّوائيّ؛ حيث يُشكّل بناء الشّخصيّة الرّوائيّة تقنيّة هامّة، وأداة ضروريّة لقيامه، تتيح للرّوائيّ تحقيق أهداف عمله الإبداعيّ الجماليّة، وتحميله بمختلف الدّلالات الإنسانيّة.

حظيت الشخصية السردية باهتمام كبير من قبل النقاد والمنظرين، حيث تعددت زوايا النظر تجاهها، وهذا إنما يعود بالدرجة الأولى إلى أهميتها في الحكي، وفي البناء السردي ككل، فالسارد لا يلجأ إلى الواقع المعيش في اختياره لشخصياته الورقية، بل ينفتح أيضا على الوعي بالجمعي الذي اكتسبه نتيجة ثقافته القرائية الواسعة، فقد يستعير أسماء تنتمي إلى ثقافات مغايرة لثقافة بيئته، كما قد يلتفت في سرده إلى بيئات أخرى واقعية كانت أو متخيلة، مثلما هو الحال في كثير من الروايات التي تحكي أحداثا جرت في مجتمعات افتراضية.

كما يُعين الدارس أيضا في تأمّله لمكوّنات الشّخصيّة الرّوائيّة وجوانبها استشراف آفاق تسمح برؤية أشمل وأعمق لسيرورة السرد، من حيث طبيعة العلاقات بين الشّخصيّات، وأثرها في خلق التّوتّر، والصّراع الدراميّ الضّروريّ لتطور الأفعال، وذلك لا يتجلى إلاّ في إطار الأحداث، وما تُمثّله في نسقي الزّمان والمكان عموما؛ إذ لا يُمكن

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

أن تتحرّك الأحداث دون شخصيّات «حيّة في حالة فعل»، [1] تُسهم في بنائها بطريقة فعّالة ومحوريّة، وعليه لا يُمكن تصوّر عمل سرديّ دون شخصيّات، لكونها ركيزة مهمّة في كلّ سرد.

فالشّخصيّة هي مركز استقطاب سردي، وهي المكوّن الّذي يضمن سيرورة وتسلسل الأحداث واستمراريتها؛ أي إنّها محرّك عمليّة التّخييل، وذلك ما يُفسّر الارتباط الّذي يجمعهما، وفوق كل ذلك تُعدّ العنصر الوحيد الّذي تتقاطع عنده كافّة العناصر الشّكليّة الأخرى، فـــ «لا الزّمن زمن إلاّ بها ومعها، ولا الحيّز حيّز إلاّ بها؛ حيث هي الّتي تحويه وتقدره لغاياتها، على حين أنّ اللّغة تكون خدما لها وطوع أمرها». [2]

فالحدث الروائي في أساسه هو نتاج لحركة الشخصيات، ويقرّ النّقد الحدّاثيّ أنّ «الشّخصيّة [الرّوائيّة] كائنٌ خياليٌّ، تُبنى من خلال جمل تتلفّظ بها هي، أو يُتلفّظ بها عنها» [3]، ليس لها وجود واقعيّ، يخلقها الرّوائيّ، ولا تعدو كونها ممثّلا لعمليّة التّخييل، فهي – حسب عبد الملك مرتاض– مثيل لصورة الإنسان في الأعمال السّرديّة؛ [4] حيث ينحصر دورها في مشاركتها الفعّالة في أحداث السّرد عبر تنقلها في فضائه المتخيّل الّذي تحدّه الحدود الجغرافيّة لصفحات النّصّ.

---

[1]– شكري (غالي): **المنتمي – دراسة في أدب نجيب محفوظ –** . ط 2، دار المعارف، القاهرة/ مصر، 1969، ص 80.

[2]– مرتاض (عبد الملك): **تحليل الخطاب السّردي (تحليل سيميائي مركّب لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ)**. سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995، ص 127.

[3]– بوعزّة (محمّد): **تحليل النّص السّرديّ: تقنيات ومفاهيم**. ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص 40.

[4]– مرتاض (عبد الملك): مرجع سابق. ص 126.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

فالشّخصيّة مكوّن يوظّفه المبدع ليؤدي دورا معيّنا في عمله الإبداعيّ، وهذا من شأنه الكشف عن منهج الرّوائيّ ورؤيته في بناء شخصيّاته، ومدى تماسكها، وتظافرها على مختلف المستويات: النّفسيّة، اللّغويّة، والفكريّة، مع توطيد أواصر العلاقة الطّبيعيّة بين هذه العناصر، وعدم تجريدها من مجالها الحيويّ، حتّى تستوي الشّخصيّة في إطارها الإنسانيّ؛ أي إنّ الشّخصيّة الرّوائيّة ما هي إلاّ نتيجة لذلك التّفاعل الحاصل بين الواقع والمتخيّل؛ حيث تنشأ من خلال الأخير واقعيتها، وبمرجعيتها إلى الواقع يتأسّس طابعها التّخييلي.[1]

وكي تكون الشّخصيّة انعكاسا لامتزاج وتقارب عالم الرّواية المتخيّل، والعالم الواقعيّ وجب النّظر إلى الشّخصيّة الرّوائيّة بوصفها أداة يرسم السّارد من خلالها أنموذجا تصويريّا للفرد الإنسانيّ، ويُجسّد رؤية ما للعالم[2] في ذاكرة المتلقي على أبعد مدى؛ لأنّ الائتلاف الحاصل بين العالمين (المتخيّل والواقعيّ) يمنح الشّخصيّة قدرة على التّعبير عن بعض طموحات الإنسان، كما يجعلها قريبة من نبض الواقع بـــتوفير كلّ الشّروط الّتي تُتيح لها إمكانية محاكاة الوقائع الحياتيّة.

يلجأ الرّوائيّ – من خلال محاكاة وقائع العالم الواقعيّ وإبداء وجهة النّظر حولها – إلى خلق عالم وهميّ قائم على الخيال، ولتمثيل الأشخاص الواقعيين يلجأ إلى خلق كائنات غير واقعيّة تُسمّى مخلوقات ورقيّة، [3] فالشّخصيّة السردية كائن مُتخيّل، وقد

[1]– يُنظر: الرّقيق (عبد الوهّاب): **في السّرد (دراسات تطبيقيّة)**. ط 1، دار محمّد علي الحامي للنّشر، (سلسلة فنون الإنشاء)، تونس، 1998، ص 127.

[2]– المرجع نفسه. ص 131.

[3]– يُنظر: بارث (رولان): **مدخل إلى التّحليل البنيويّ للقصص**. ترجمة وتحقيق: منذر عيّاشي، ط 2، مركز الإنماء الحضاري، لبنان، 2002، ص 127.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

عرّفها **رولان بارث** (Roland Barth) بأنّها «نتاج عمل تأليفيّ»؛[1] بمعنى أنّها لا تحيا إلاّ من خلال اللّغة والكلمات، لتتّخذ شكلها الدّال عبر ما يُستخدم في النّص الرّوائيّ من تعابير، «فهي مجرّد عنصر كليّ وتقنيّ للغة الرّوائيّة؛ مثلها في ذلك مثل الوصف، والسّرد والحوار»، [2] كما أنّها تُمثّل جملة من البُنى «الّتي تستمد وجودها وكيانها من داخل النّصّ»، [3] فهي حسب التّحليل البنيويّ دليل له وجهان: دالٌ حاضرٌ يُمثّله الاسم، ومدلولٌ غائبٌ تُمثّله المحمولات المندرجة بداخله، وهذا ما يُفسّر تعدّد أصناف الشّخصيّات الرّوائيّة تبعًا لتعدّد القرّاء وتباين تحليلاتهم، فدالّها، ومدلولها «عنصران مرتبطان ارتباطا وثيقا، بحيث يقتضي وجود أحدهما الآخر».[4] لذا تتطلّب دراسة الشّخصيّة الرّوائيّة وتحليلها أن يُنظر إليها «في ذاتها ومقوّماتها الّتي تمنحها صفتها الشّخصيّة المميّزة الّتي تكتسبها في علاقاتها مع غيرها من الشّخصيّات الّتي يزخر بها النّصّ الحكائيّ»، [5] فهي علامة تمتلئ بالدّلالة كلّما تقدّم القارئ في قراءة النّصّ الرّوائيّ.

تتعدّد تأثيرات الشّخصيّة الرّوائيّة في بنية النّص حسب أدائها للمهام الّتي سُخّرت من أجلها؛ حيث يترابط تحليل معالمها، وتتّسع حدود تأويل أبعادها، بتزايد حيويّة

[1]– يقطين (السّعيد): **قال الرّاوي (البنيات الحكائيّة في السّيرة الشّعبيّة)**. ط1، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء – بيروت/ المغرب – لبنان، 1997، ص 88.

[2]– مرتاض (عبد الملك): **في نظريّة الرّواية بحث في تقنيّات السّرد**. (د.ط)، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998، ص 87.

[3]– الرّقيق (عبد الوهّاب): مرجع سابق. ص 127.

[4]– دي سوسير (فرديناند): **محاضرات في علم اللّسان – العام –** . تر: عبد القادر قنيني، (د. ط)، إفريقيا للشّرق، 1987، ص 87.

[5]– يقطين (السّعيد): مرجع سابق. ص 88.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

مواقفها ونشاطها، ما يُعين في عمليّة فكّ شفراتها، وإزالة غموض رموزها، ليشمل مفهوم الشّخصيّة بذلك كلّ صفاتها المتحقّقة، ومختلف تجليّاتها الفعليّة.

وقد تنازعت تصنيف الشخصية آراء عديدة، حيث كان منطلقها ذلك الوعي المنهجي والتنظيري الذي يرتكز إليه النقاد، إذ تتبادل الشخصيات سمات متقاربة في التصنيف، كأن تكون مهمة، وأقل أهمية، ومستقرة ومضطربة وسطحية، وبسيطة ذات بعد واحد، وذات سمات قليلة مع إمكانية التنبؤ بسلوكها، والعميقة والمعقدة، والتي تتسم بتعدد أبعادها، وقيامها بسلوكات مفاجئة، وقد تصنف انطلاقا من كونها رئيسة وثانوية ...إلخ .

غير أن الدراسات البنيوية والسيميائية للشخصية قدمت تصورات جديدة مغايرة لما كان سائدا، فقد درسها فلاديمير بروب في بحثه الرائد " مورفولوجيا الحكاية الشعبية " وخلص إلى أن ما يميزها هي الأفعال التي تطّلع بها، كما عرّف الأحداث من خلال إسنادها إلى الشخصيات، حيث لا قيمة للشخصية من ناحية وجودها وسماتها وسلوكاته وطبائعها، وإنما تكمن قيمتها في طبيعة الفعل الصادر عنها . وهذه الرؤية أثرت كثير على تصورنا للشخصية، وعلى الدور الذي تلعبه في السرد، فمعرفتنا للمتغيرات التي تحصل للشخصية في مظهرها أو سلوكها، وتسميتها يساعدنا حتما في استشراف الأحداث، وفي التأثير على سلوكات الشخصيات الأخرى، وبالتالي يمكم القول إن هذه الأشياء جميعا لها دورها البارز في تغيّر الأحداث، هذا إذا ما استثنينا الدور الذي تلعبه تلك المتغيرات في التأثير على القارئ الذي يظل مشدودا إلى السرد والوصف أيضا، باعتبار هذا الأخير مكملا أساسيا للحمة السرد.

ونحن نميل إلى رأي فيليب هامون حينما نظر إلى الشخصية بمنظور سيميائي بحث، واعتبرها وحدة دلالية، وعلامة قابلة للوصف والتحليل، ولا تولد إلا من خلال ما تقوله،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

أو ما تفعله، أو ما يقال عنها في النص [1]. غير أننا نخالفه الرأي في كونها علامة فارغة، فإذا كان فيليب هامون يراها مجرد بياض دلالي لا قيمة له إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدد، فإننا نرى بأن الأسماء قد تكون جاهزة، وبالتالي فهي ممتلئة دلاليا، فقد تتزلق دلالاتها الإيحائية من الواقع إلى النص، فيكون للمجتمع دوره الكبير في غناها الثقافي، وامتلائها، وبالتالي فهي تمنحنا إمكانات هائلة للتأويل . حيث يتزحلق الاسم باعتباره دالا تحت المدلول وفق فكرة اللعب الحر للدوال، وهو ما يسميه السيميائيون بالسيميوز اللامتناهي، إذ يتحول المدلول إلى دال في لحظة تعويم للدال لا تتوقف[2] .

فالشخصية علامة داخل النسيج النصي، ملتحمة مع باقي العلامات، كما أن عملية إنتاجها خاضعة بالضرورة إلى مقصدية المؤلف، وتدين في عملية فهمها وتلقيها إلى تأويل القارئ، ومدى استيعابه لرمزيتها. فالقارئ لا ينطلق من فراغ، بل يحاول لملمة العلاقات النصية التي يرى بينها أواصر قربى، ولو كانت إيحائية، فهو يتلقى الأسماء بطريقة آلية، إنما يحاول قراءة كل متعلقاتها الدلائلية، ويكون منطلقه النص، ثم ينفتح على مؤشرات أخرى قد تكون خارج نصية .

وستحاول دراستنا هذه كشف هذا المستوى القصدي الذي يتبناه الكاتب محمد ديب في اختياره لأسماء الشخصيات في ثلاثية الشمال، حيث نرى بداية أنها تمثل ظاهرة لافتة في كتاباته السردية الأخيرة، فهي علامة نصية، كما أنها استفادت من التراكمات

[1] – ينظر : فيليب هامون . **سيميولوجية الشخصيات الروائية** . تر: سعيد بنكراد. دار الحوار، الرباط، المغرب، ص6

[2]– ينظر: محمد خليف خضير الحيالي : ما ورائية التأويل الغربي (الأصول، المناهج، المفاهيم) . منشورات ضفاف، ومنشورات الاختلاف، ومنشورات دار الأمان، بيروت(لبنان)، الجزائر، (الرباط المغرب)، ط1، 2013 . ص172.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

الثقافية والتاريخية والاجتماعية التي عاشها محمد ديب قبيل الثورة التحريرية، وأثناءها، وبعدها أيضا، والظاهر أن فترة المنفى الاختياري الذي ارتضاه محمد ديب لنفسه بمناطق الشمال كان لها الأثر البارز في مسيرته السردية، وفي اختياره لأسماء شخصياته.

حد التسمية وأصنافها عند النحاة:

وتُعدّ دراسة اسم العلم وتحليله مُنطلقا لتحليل الشّخصيّات الرّوائيّة، فهي أوّل وأهم خطوة من خطوات تحديد مقوّمات وأبعاد الشّخصيّات الرّوائيّة.

والاسم من الْوَسْمِ وَالسِّمَةِ الّتي تُوضع على الشّيء فيُعرف به، والْوَسْمُ هو العلامةُ، [1] وقد حظيت تسمية الأشياء والكائنات بأهميّة قصوى منذ فجر الخليقة، حينما قرّر الله عزّ وجلّ اتّخاذ خليفة في الأرض، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُون ۞ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[2]

وعندما عجزوا عن الإجابة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.[3]

يتّضح من هذه الآيات القرآنيّة ارتباط الاسم والقدرة على التّسمية بالعِلْم، فصفة العلم المرتبطة بالعقل، وإمكانية التّحليل والتّركيب هي القدرة الّتي وهبها الله عزّ وجل للإنسان دون غيره من المخلوقات لتسمية الأشياء، وهذا ما يعني أنّ تكوين الرّصيد

[1]– يُنظر: الزّبيدي (محمّد مرتضى الحسيني): **تاج العروس**. تح: مجموعة من المحققين، (د.ط)، دار الهداية، (د.ت)، ج 38، ص ص 305، 306.

[2]– سورة البقرة، الآيتين: 30، 31.

[3]– سورة البقرة، الآية: 32.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

المعرفيّ الّذي يربط الأسماء بالمسميات، يفترض معرفة خصائص تلك المسميات وعلاقتها بذات الإنسان، وبما يحيط به.

كما يتّضح بشكل عام – من الآيات – أنّ منح اسمٍ أو مصطلح خاصٍ بمدلول مرتبط في العالم الخارجي بشيء ما، هو من خصائص الإنسان يتصرّف فيه بعقله وعلمه؛ أي إنّ القدرة على إطلاق الأسماء على المسميات قد حباها الله الإنسان دون المخلوقات الأخرى .

وقد تباينت آراء النحويين في تحديدهم لماهية الاسم، وأصنافه وأقسامه؛ فهذا الزّمخشريّ (467 هـ – 1074م/ 538 هـ– 1143 م) يعرّف الاسم بأنّه: «هو ما دلّ على معنى في نفسه دلالة مجرّدة عن الاقتران وله خصائص منها جواز الإسناد إليه ودخول حرف التّعريف والجرّ والتّنوين والإضافة.

ومن أصناف الاسم: اسم الجنس؛ وهو ما عُلِّقَ على شيء وعلى كلِّ ما أشبهه، وينقسم إلى اسم عين، واسم معنى، وكلاهما ينقسم إلى اسم غير صفة، واسم هو صفة؛ فالاسم غير الصّفة نحو رجل وفرس وعلم وجهل، والصّفة نحو راكب وجالس ومفهوم ومضمر.

ومن أصناف الاسم العلم: وهو ما عُلِّقَ على شيء بعينه غير متناول ما أشبهه، ولا يخلو من أن يكون اسما كزيد وجعفر أو كنية كأبي عمرو وأمّ كلثوم أو لقبا كبطّة وقفّة.

وينقسم (أي العلم) إلى مفرد ومركّب ومنقول ومرتجل، فالمفرد نحو زيد وعمرو، والمركّب إمّا جملة نحو بَرَقَ نحره وتأبّط شرًّا... وإمّا غير جملة اسمان جعلا اسما واحدا نحو معد يكرب وبعلبك وعمرويه ونفطويه، أو مضافا ومضافا إليه كعبد مناف وامرئ القيس.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

والمنقول على ستّة أنواع منقول عن اسم عين كثور وأسد، ومنقول عن اسم معنى كفضل وإيّاس ومنقول عن صفة كحاتم ونائلة...»؛[1] إنّ الشّاهد في قول الزّمخشريّ كون اسم العلم لا تغطيه برمّته خاصيّة الاعتباطيّة الّتي تطبع الدّليل اللّغويّ بشكل عام بما يضفي على أسماء الأعلام أبعادًا لا نجدها في أسماء الأعيان أو أسماء المعاني فيسندها بقوّة إضافيّة يجعل من انتقائها ووضعها معلما يهدي المتتبّع النّاقد إلى الغوص بين ثنايا النّتاج الأدبيّ، وصولا إلى البلاغ الضّمني الّذي أراد الأديب إيصاله. ونجد أيضا أبا البقاء العكبري (538 هـــ– 1143م/ 616 هـــ– 1219 م) يعطي تعريفات أخرى للاسم تسمح للنّاقد أن يكتشف ملامح في الشّخصيّات الرّوائيّة كانت خفيّة، أو أرادها الأديب أن تكون كذلك حتّى يُعمل فيها القارئ فكره، ويُجهد فيها ذهنه؛ حيث يقول: «اختلفت عبارات النّحويين في حدّ الاسم. وسيبويه لم يصرّح له بحدّ، فقال بعضهم، الاسم ما استحقّ الإعراب في أوّل وضعه، وقال آخرون: حدّ الاسم ما سما بمسمّاه، فأوضحه وكشف معناه. وقال آخرون الاسم كلّ لفظ دلّ على معنًى في نفسه و لم يدلّ على زمان ذلك المعنى. وقال ابن السرّاج: هو كلّ لفظ دلّ على معنى في نفسه غير مقترنٍ بزمان محصّل. وزاد بعضهم في هذا الحدّ: دلالة الوضع...»، [2] يستشف من هذه التّعاريف علاقة التّلازم والتّلاحم بين الاسم والمسمّى بحيث لا يرتبط الاسم بمادّة الشيء، بل بماهيته، وهو أمر في غاية الأهميّة لما له من علاقة وطيدة بشخصيات الرّواية من جهة، وبخيال الأديب ونفسيته ومركباته الثّقافيّة والإيديولوجيّة.

[1]– الزّمخشري (أبو القاسم): **المفصّل في صنعة الإعراب**. تحقيق: خالد إسماعيل حسّان، مكتبة الآداب، القاهرة/ مصر، 2006، ص 50، 51.

[2]– العُكبَري (أبو البقاء): **مسائل خلافيّة في النّحو**. تحقيق: عبد الفتّاح سليم، مكتبة الآداب، القاهرة/ مصر، 2004، ص 48.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

وهذا ما يتوافق مع هاجس البحث عن إيجاد تسميات للأشياء والمخلوقات الّتي هي مدار أحداث «ثلاثيّة الشّمال»، وهو مجال بحث علم المصطلحات (Terminologie)، والمصطلح هو الكلمة الّتي تغطي حقلا دلاليّا مخصوصا في علم بالذّات؛ بحيث لا تحتمل الاشتراك أو التّأويل، [1] والاصطلاح مجهود ذهني يقوم به الباحث بشكل عام أو الكاتب أو الأديب لإيجاد المصطلح الملائم الّذي يغطي الظّاهرة، أو الشيء، والاكتشاف بحيث يجب أن تتوفّر فيه شروط: الوضوح، والدّقة، وعدم التّداخل مع غيره من الكلمات والمصطلحات، فالبحث عن تسميّة الأشياء والمخلوقات؛ يعني البحث عن وضع أسماء/ مصطلحات تغطّي حقولا أو معاني دلاليّة لم يجد لها مثيلا في رصيده اللّغويّ. وإذا قمنا بدراسة إحصائيّة نجد أنّ عدد المرّات الّتي وردت فيها كلمة علم في الآيات السّابقة أكثر بكثير من مرّات ورود كلمة اسم؛ وهذا يعني أنّ العلم يفوق القدرة على التّسمية، وأنّ القدرة على تسمية الأشياء ومعرفتها لا تتأتى إلاّ بكثير من العلم، وهذا ما يستحثّ ذهن المتلقي للبحث عن ماهيتها، وجوهرها، والأسباب الّتي دفعت الكاتب إلى وضعها.

تصنيف شخصيات الثلاثية:

تأخذ التّسمية في كتابات **محمّد ديب** بُعدًا مغايرًا، فهي مغامرة تنطلق من عناوين الأعمال الإبداعيّة، مرورًا بتسمية الأماكن (Toponyme)، حتّى تصل إلى أسماء الشّخصيّات، وهي كلّها أسماء تحثّ المتلقي على إزاحة اللّثام عن كلّ ما يخفيه هذا الاسم، وهو ما يجعلها صعبة المنال، تتطلّب منا جهدا لفكّ طلاسمها.

ويُحدّد اسم العلم – باعتباره علامة لغويّة – بكونه أولى العلامات الدّالة على الشّخصيّة الرّوائيّة من جهة، بكونه اعتباطيًّا من جهة أخرى بحسب ما ذهب إليه فيليب

[1]– Voir : **Dictionnaire Le Larousse Expression: VUEF. 2002 : CD**

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

هامون، غير أنّ درجة الاعتباطيّة بين الدّال والمدلول في مقولة الشّخصيّة أقلّ منها في اللسانيّات، [1] بل إننا نرى أن نسبة الاعتباطية في اختيار الأسماء تكون منعدمة، لأن الاختيار يقتضي الإرادة الواعية للذات المبدعة .

وبما أنّ كلّ علامة لا بُدّ أن تستحضر غائبا لأجل تمثيل ما يدور بالذّهن من معنى داخليّ عن طريق اللّغة الّتي تُمثّل سطح العلامة الخارجيّ، فإنّ الاسم الشّخصيّ يُمثّل أحد المحمولات الّتي تنقل الشّخصيّة من خلال عمليّة القصّ من مستوى البياض الدّلاليّ إلى مستوى التّعيين والتّمييز عن بقيّة الشّخصيّات الأخرى. لذا يجب على الكاتب أن يُخطّط – أثناء اختيار أسماء شخصياته خاصّة الرّئيسة منها – تخطيطا فنيّا محكما لا مجال فيه لمنطق الصّدفة؛[2] حيث يكون اختياره لهذه الأسماء اختيارًا واعيًا، يجعلها تحيل بشكل مباشر أو ضمني على الشّخصيّات الّتي تحملها.

يتمظهر اسم العلم في «ثلاثيّة الشّمال» كأوّل مؤشّر معطى عن الشّخصيّات الرّوائيّة، والاسم الشّخصيّ بوصفه عنصرا دالاً، فإنّه يكشف هوية الشّخصيّات الرّوائيّة، فهو أمير الدّوال[3] على حدّ قول رولان بارث، لكونه دالاً مقدّمًا حينما يمنح الرّوائيّ فئة الشّخصيّة الرّئيسة أسماء دالّة عليها، كما أنّ الأهميّة المعطاة للاسم تُبرز خصوصيّة تسميّة الكائنات الورقيّة في أعمال **محمّد ديب** الإبداعيّة؛ حيث يولي أسماء شخصيّاته الرّوائيّة عناية بالغة.

---

[1]– HAMON philippe**: pour un statut Sémiologique du personnage**. «in Poétique du récit», OEV col, éd Seuil, Paris, France, 1977. p 134.

[2]– يُنظر: بدري (عثمان): **وظيفة اللّغة في الخطاب الرّوائيّ عند نجيب محفوظ**. (د.ط)، موفم للنّشر والتّوزيع، (د.ت)، ج 38، ص ص 305، 306.

[3]– بنكراد (سعيد): **سيميولوجية الشّخصيّات السّرديّة (رواية الشّراع والعاصفة لحنا مينا نموذجا)**. ط 1، دار مجدلاوي للطّباعة والنّشر، عمّان/ الأردن، 2003، ص 139.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

وتُصنّف كلّ من: شخصيّة «عايد» (Eid) في رواية «سطوح أرسول» (Les Terrasses d'Orsol)، [1] وشخصيتي «فاينة» (Faïna) و«صُلح» (Solh) في رواية «غفوة حوّاء» (Le sommeil d'Ève)، [2] وشخصيّات «بُرهان» (Borhan)، و«روسيا» (Roussia)، و«ليل» (Lyyl) في رواية «ثُلوج من رخام» (Neiges de marbre) [3] حسب أهميّتها في العمل الرّوائيّ إلى شخصيّات رئيسة؛ لأنّها «تتواتر على طول النّصّ وتضطلع بدور مركزي» [4] في الحكيّ، كما أنّها تلعب دورا مهما في بناء الأحداث وتحديد مصائر بعضها البعض.

والملاحظ أنّ الرّوايات الثّلاثة تقوم على ما يُمكن تسميته بتقنيّة «السّارد – الشّخصيّة» (Autodiégétique)، فشخصيّات روايات «ثلاثيّة الشّمال» (La trilogie nordique) الرّئيسة قد أدّت وظيفتين غاية في الأهميّة:

✓ الوظيفة الأولى: أداء دور محوري في الرّوايات.

✓ الوظيفة الأخرى: سرد الأحداث إلى جانب السّارد العليم بكلّ شيء، وتُستثنى من هذه الوظيفة شخصيّة «روسيا» الّتي اكتفت بالوظيفة الأولى فقط؛ حيث اضطلعت شخصيّة «عايد» في رواية «سطوح أرسول» بمهمّة سرد الأحداث على مدار الرّواية، في حين تشكّلت رواية «غفوة حواء» من قسمين متساويين؛ يضمّ الأوّل منهما خمسة أجزاء تتولى مهمّة سرد أحداثها شخصيّة «فاينة»، أمّا القسم الآخر فيشمل أربعة أجزاء تولّى مهمة سرد أحداثها شخصيّة «صُلح».

[1]– Dib (Mohammed): **Les terrasses d'Orsol**. Ed Sindbad, Paris, 1985.

[2]– Dib (Mohammed): Le Sommeil d'Eve. Ed Sindbad, Paris, 1989.

[3]– Dib (Mohammed): Neiges de marbre. Ed Sindbad, Paris, 1990.

[4]– المرجع نفسه. ص 93.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

أمّا رواية «ثلوج من رخام» المتكوّنة من اثنين وعشرين جزءًا، فقد تولّت شخصيّة «برهان» مهمّة سرد أحداثها، في حين أوكلت هذه المهمّة إلى شخصيّة الطّفلة «ليل» في القسم الموسوم بـــ «تقول ليل وهكذا» «Lyyl dit et voilà» حينما تُحدّثنا عن والدها واصفة علاقتها به.

تتمتّع هذه الشّخصيّات بعمق شخصيّ يُؤكّده الغموض الّذي يلفّها «ذلك أنّ جميع النّاس الّذين (...) تُشكّل حياتهم لغزا يستثيرون شغفنا»، [1] وهذا ما يُفسّر قدرتها على جلب اهتمام المتلقي، وحثّه على السّعيّ نحو اكتشاف أبعادها، والتّعرّف على صورتها النّهائيّة.

وإذا ما وقفنا على دلالة أسمائها خاصّة الرّئيسة منها، لمعرفة مدى انسجامها مع الشّخصيّة، وجدنا أنّ هذه الأسماء الّتي خلعها على شخصياته منتقاة بدقّة لتؤدي معانيها، وتزيد الشّخصيّة وضوحا وتحديدا، من ذلك شخصيّات:

✓ اسم «عايد»: حيث تُفتتح رواية «سطوح أرسول» بجملة:

«je suis revenu».[2]

ملحقة بباقي النّص الرّوائيّ؛ لتأخذ معنى دقيقا ومحدّدا، تحمله في ذاتها لا يتعدّى إلى باقي المتن الرّوائيّ، ويبدو أنّها تودّ القول إنّ الكاتب أراد الإعلان من خلال توظيف هذه الجملة عن عودته إلى الكتابة الرّوائيّة عودة طوعيّة. وبالعودة إلى السّياق السّوسيوثقافيّ؛ فإنّ ملابسات إنجاز هذا العمل الإبداعيّ تُوضّح هذا الطّرح؛ إذ لم يصدر لـــ **محمّد ديب** بين 1977 سنة صدور رواية «هابيل»، و1985 أيّ عمل روائيّ، واكتفى

[1]– هينكل (روجر. ب): **قراءة الرّواية (مدخل إلى تقنيّات التّفسير)**. تر: صلاح رزق، ط١، دار الآداب، القاهرة/ مصر، 1995، ص 240.

[2]– Dib (Mohammed): **Les terrasses d'Orsol**. P 09.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

بنشر حكايات وقصص وأشعار مختلفة؛[1] حيث شرع في كتابة هذا العمل الإبداعيّ، ثمّ توقّف، وبين الشّروع فيه وإنهائه أنجز أعمالا إبداعيّة أخرى قبل أن يعود إلى تتمته ونشره سنة 1985.

وهذا ما يتوافق مع تصريحات **محمّد ديب** عند صدور رواية «سطوح أرسول»، بأنّ بعض أجزاء هذا العمل كُتبت في حدود سنة 1955، وأجزاء أخرى حوالي سنة 1977، وأجزاء حديثة احتوت سابقتها، جزءٌ كُتب في فترة و لم يُنشر إلاّ بعد ثلاثين سنة من كتابته ضمن الرواية، [2] ومدّة ثلاثين سنة من الإبداع صدرت أثناءها أعمال إبداعيّة للكاتب دون أن تتضمّن هذه الأجزاء، وبالعودة مجدّدا إلى فاتحة نصّ رواية «سطوح أرسول»، الّذي يُستهل بـــ «العودة» (Retour)، يتطابق من النّاحيّة الدّلاليّة مع اسم الشّخصيّة الرّئيسة في الرّواية «عايد» (Eid)[3] أو (Aëd).[4]

ويعدّ توظيف الرّوائيّ لاسم «عايدة» (Eïda) زوجة «عايد» تأكيدا على مقصديّة توظيفه لهذا الاسم دون غيره، والإشارة إلى الثّنائيّة الّتي تجمع اسم «عايد» بـــاسم «عايدة»، فحرف «a» الملحق بآخر اسم (Eïda)، ويُقابل «تاء التّأنيث»، مُحقّقا بذلك الانتقال من حالة التّذكير إلى التّأنيث، وهذا ما يتوافق مع قواعد اللّغة العربيّة، فهو إجراء عربيّ صرف.

[1]– CHIHANI Ali: La quête du nom dans Habel et Les Terrasses d'Orsol de Mohammed Dib, posté par la plume francophone, 1 février, 2012. https://la-plume-francophone.com/2014/02/01/mohammed-dib-habel-et-les-terrasses-dorsol/

[2]– DIB MOHAMMED SOUHEIL: «Les Terrasses d'Orsol», Mohammed Dib parle de son œuvre, bab eddart, Magazine culturel Algérien, p 02.

[3]– Dib (Mohammed): Les terrasses d'Orsol. Quatrième de couverture.

[4]– Ibid. P 141.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

يتّخذ اسم الشّخصيّة الرّئيسة في القسم السّابع عشر من الرّواية شكلا آخر؛ ليتحوّل من (Aëd)«عايد» إلى (Ed) «عاد»، حينما تخاطبه حبيبته «آيل» (Aëlle):

«je t'ai toujours attendu, Ed».[1]

يُمكن تفسير هذا التّحوّل استنادا إلى المخطّط الآتي:

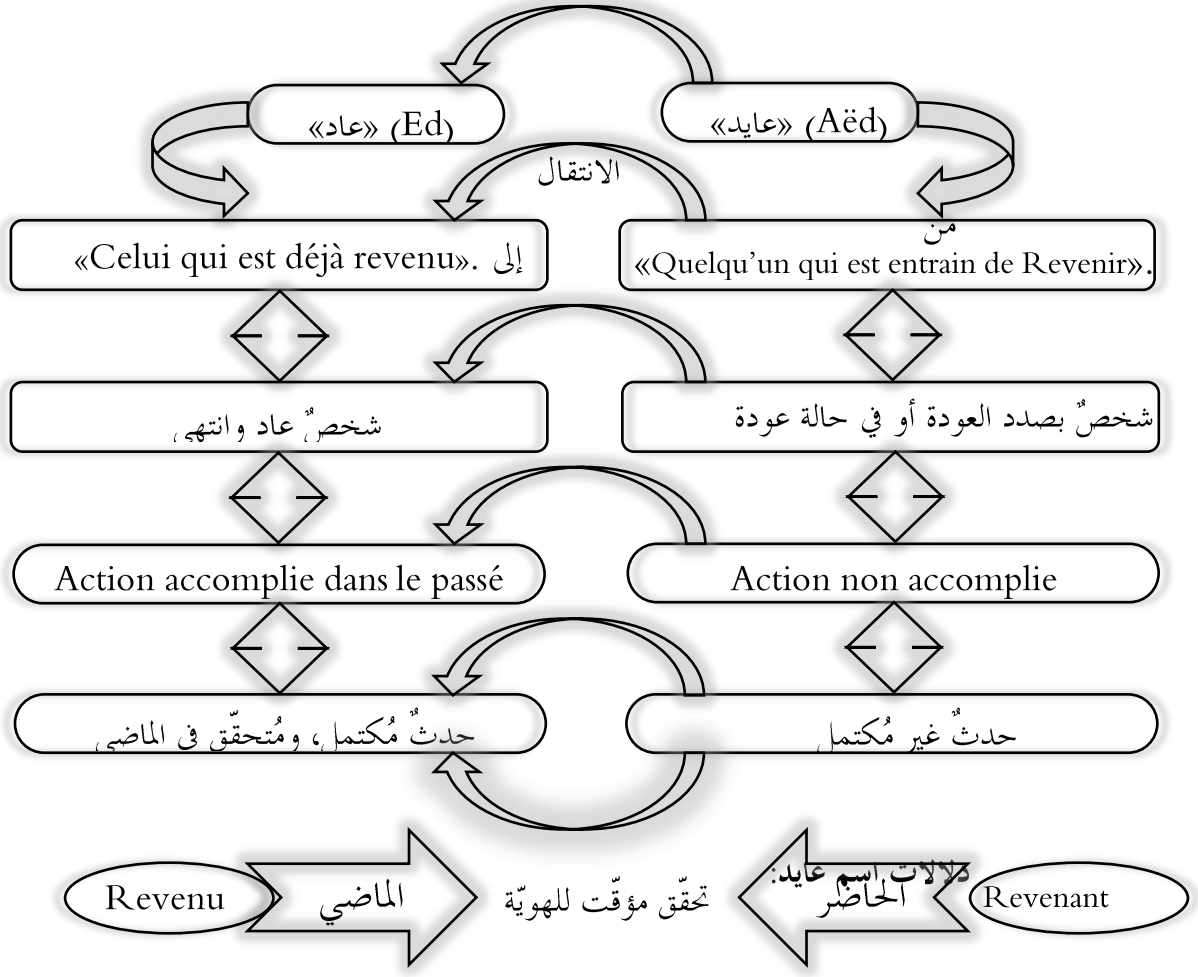

[1] Ibid. P 141.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

يدلّ تحوّل اسم شخصيّة «عايد» (Aëd) (Revenant) من الحاضر إلى «عاد» (Ed) (Revenu) في الماضي، على تجسيد حدث متحقّق وتامٍّ بالفعل، لنقرأ:

«Elle aura vite appris à dire Ed pour remplacer mon nom, Aëd. Je l'aurais voulu, mais ça se passera hors d'ici et de cette histoire, dans un temps que ni elle ni moi n'imaginons encore, un temps qui n'attend que ça pour commencer».[1]

وحده حبٌّ وعشق «آيل» (Aëlle) جسّد هذا الانتقال من حدث غير مكتمل (البحث عن الذّات) إلى حدث مكتمل ومتحقق بالفعل، جسّد تحقق الهويّة، وهذا ما يُؤكّد أنّ حالة البحث عن الذّات يجب أن تمرّ حتما باكشاف الآخر.

إضافة إلى ذلك يُمكن للقارئ أن يُلاحظ غياب صوت عربيّ أثناء ترجمة اسم «عاد» إلى الفرنسيّة (Ed)؛ لأنّ الحرف «A» في اسم (Aëd) عوّض حرف «العين»، وهو الفونيم الّذي لا يندرج ضمن الأبجديّة الفرنسيّة، فحرف «العين» الغائب هذا هو الّذي يختصر كلّ الرّواية؛ لأنّ الرّوائيّ في حالة بحث دائم عن الوضوح، وضوح معنى حرف «العين»، لنقرأ:

«Il était partagé entre ce qu'il voyait dehors, cette lumière, cette malédiction, et ce qu'il voyait en dedans, la même lumière, la même malédiction».[2]

فالغموض الّذي يلفّ هذا الاسم ناتج عن التّشظّي الّذي يعاني منه الرّوائي، ويجعله دوماً في تأرجح مستمر، وتململ بين وطنه «أرسول» ومنفاه الاختياري «جار بحر».

[1]– Ibid. P 141.

[2]– Ibid. P 15.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

✓ اسم «فاينة»: (Файна)، وهو اسم روسيّ أرثوذوكسيّ قديم؛ لأنّ:

«Faïna faite à l'image de la vièrge russe, Faïna la chrétienne primitive, orthodoxe ayant foi en la parole…».[1]

ترجع أصول هذا الاسم إلى الحقبة الإغريقيّة؛ حيث كان مُستخدما في المناطق الرّيفيّة الرّوسيّة، يحمل معانٍ متعدّدة، أهمّها: «La lumière»؛ أي «النّور»، و«Brillante comme une étoile polaire»، وتعني «المرأة اللّماعة المضيئة» مثل: «النّجمة القطبيّة»؛[2] أي المرأة الّتي تلفت النّظر، وتُثير الانتباه، وهذا ما يؤكّده المقطع الآتي:

«La Lumière qui entre jusqu'au fond de ta conscience te donne envie de boire sa pureté, comme font les enfants quand ils mangent de la neige. Ils n'en mangent pas parce qu'elle est pure, éblouissante, irrésistible».[3]

يظهر جليّا أنّ **محمّد ديب** يتحدّث عن النّور، وكأنّه مشكّل للرّوح، لكنّه في الحقيقة يتحدّث عن «فاينة»، فاسمها يوحي بصفاتها، فهي نور فريد من نوعه، وهذا ما جذب «صُلح» إليها، كما أنها ليست المرأة الّتي يسعى إلى معرفتها فقط، لمجرّد أنّه يرغب في أن يكون مع امرأة، بل لأن حبّها هو أجمل نور يمكنه إضاءة كلّ طموحاته.

يُعدّ اسم «فاينة» من أغرب الأسماء في رواية «غفوة حوّاء»، وحتّى في «ثلاثيّة الشّمال»؛ حيث يقول عنه **بشير عجيل** بأنّه ذو «نغمة غامضة، يقترب من اسم فانية

[1]– DIB (MOHAMMED): LE SOMMEIL D'EVE. P 211.

[2]– يُنظر: HTTP://KAKZOVUT.RU/NAMES/FAINA.HTML

[3]– DIB (MOHAMMED): LE SOMMEIL D'EVE. P 15.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

الّذي يعني بائدة».[1] وهذا ما تؤكّده المقاطع الآتية حينما تُصرّح «فاينة» في القسم الأوّل:

«je mettais fin à ma vie».[2]

وفي القسم الآخر:

«Tu ne saurais pas me reconnaitre en ce moment, ni personne d'autre. Faïna n'est plus».[3]

لتعلن في الأخير – من خلال حوارها مع «صُلح» – قائلة:

«Je ne sais plus ce que je suis. Je n'existe plus».[4]

وهنا يُلاحظ القارئ أنّ الكاتب قد اختار مظهرا صوتيّا، وجعل منه علامة مميّزة تُسهم في تحديد ماهية الشّخصيّة؛ لأنّ المادّة الصّوتيّة المشكّلة لاسم «فاينة» باختلاف مورفيماتها تمنح هذه الشّخصيّة وحدة دلاليّة منتقاه بعناية من بين وحدات دلاليّة كثيرة؛ إلاّ أنّ السّمة الدّلاليّة غير مطروحة وفق تصوّر مُسبق، بل تتعيّن بالنّظر إلى دور المتلقي في استحضارها ضمن سياق النّص العام.

يبقى هذا الاسم غير قابل لتعيين هويّته، فهي تلك الزّائلة، غير الأبديّة، وهذا ما يُقصي أيّ تحديد لشخصيّة «فاينة» الرّئيسة.

[1]– ADJIL (Bachir): **Espace et écriture chez Mohammed Dib: la trilogie nordique**. Ed L'Harmattan, Paris, 1995, p 77.

[2]– Dib (Mohammed): **Le Sommeil d'Eve**. P 13/15.

[3]– Ibid. P 35.

[4]– Ibid. P 190.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

وهذا المنع والإقصاء الّذي يضيّق الخناق عليها، هو الّذي يحمل مبتغى الشّخصيّة المؤلم، والمقتبس من معركتها المزدوجة، مستقر في فعلها النّبيل المتمثّل في الحبّ (حبّ صُلح المغترب الّذي لا ينتمي مطلقا إلى بلدها)، وإرادتها ورغبتها في الموت والإبادة والفناء ببطء.

✓ اسم «صُلح» (Solh):

يُمثّل «صُلح» ثاني شخصيّة رئيسة في رواية «غفوة حوّاء»، ويُشير اسم العلم المسند إلى هذه الشّخصيّة – حسب قاموس «Le Larousse Expression» إلى ثلاثة معانٍ متقاربة هي:[1]

- La réconciliation: وتعني التّوفيق، وإصلاح ذات البين.
- La conciliation: وتعني الصُّلح، والمصالحة.
- La pacification: وتعني إعادة السّلام، وإخماد الفتن.

تظهر شخصيّة «صُلْح» للوهلة الأولى كاسم عربيّ، وهذا ما تؤكّده نبرته، كما يبدو الاسم الممنوح لهذه الشّخصيّة اسمًا ذا مغزى، فهو معبّر وكاشف، وهذا ما يؤكّده المعنى اللّغوي لمادّة (ص. ل.ح) بضمّ الصّاد، هو السِّلْمُ، ويعني إنهاء الخصومة، وإِنْهَاءِ حَالَةِ الْحَرْب، والاتّفاق بعد النّزاع؛ أي مسالمة ووفاق ووئام، [2] مصداقا قوله ﷻ: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.[3] وفي الاصطلاح: الصُّلْحُ هو عقد للتسالم والتّراضي بين شخصين، ويكون العمل على طبق ما اتّفقا عليه، وهو لازم على الطّرفين.[4]

---

[1]– Dictionnaire Le Larousse Expression: VUEF. 2002 : CD.

[2]– معجم اللّغة العربية المعاصرة. يُنظر: https://www.maajim.com/dictionary/صلح/

[3]– سورة النساء، الآية: 128.

[4]– معجم المعاني الجامع. يُنظر: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/الصلح/

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

وبما أنّه اسم علم فإنّه يمنح الشّخصيّة الّتي تحمله قدرة على إصلاح ذات البين بين المتخاصمين، وتجديد الرّوابط الزّوجيّة بين الأزواج المنفصلين، أو الّذين هم بصدد الطّلاق، أو بغية تحقيق التّفاهم بين الأشخاص الّذين تتعارض مصالحهم، أو يختلفون في الآراء، وإن صحّ القول فهو يعني جعل الأشياء متلائمة ومنسجمة؛ أي التّوفيق بين الأرواح، وإعادة السّلام والنّظام، وتهدئة غضب وسُخط الأفراد والجماعات.

يوحي اسم «صُلح» في رواية «غفوة حوّاء» بالسّلم والمصالحة، وهذا ما يؤكّده حديث «فاينة» عن رفقة «صُلح»:

«C'était devant la mer. Solh m'avait conduite sur les rochers du rivage par la main. Il prenait en quelque sorte la mer à témoin. Il n'avait pas dit qu'il était éperdument amoureux. Non, ça ne lui ressemble pas ; calme, il souriait».[1]

كما رأت «فاينة» أمّها في أحد أحلامها، وهي:

«Se lève et va en majuscules sur, aurait – on dit, la table de la loi de Moïse: SOLH».[2]

فكتابة اسم «صُلح» (SOLH) بالأحرف الكبيرة، تُبرز أهميّة هذا الاسم، واللّوح الّذي نُقش عليه قانون موسى عليه السّلام يؤكّد جانبه المقدّس.

تمكّن «صُلح» من جعل «فاينة» تتجاوز كلّ ما تعرّضت له من محن، ونجح في إخراجها من الظّلام وإيصالها إلى النّور:

[1] –Dib (Mohammed): Le Sommeil d'Eve. P 54.

[2]– Ibid. P 83.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

«J'observais chez Faïna des signes assez clairs de rémission cependant, sont état s'améliorait».[1]

لقد تمكّن «صُلح» – بفضل صبره، ورحابة صدره – من إعادة الحياة إلى المرأة الّتي يحب وذلك بإعانتها على الاهتداء إلى طريق العقل، فكأنّها بُعثت من جديد، لنقرأ:

«Faïna sourit, elle me sourit comme pour me révéler sa métamorphose. Et moi je ne veux qu'y croire, ne demande que cela, follement y croire. La blanche lumière matinale, qui tremble aux fenêtres, se répond sur elle et elle en est inondée, caressée, elle ne dit mot, mais toujours dans un sourire ses lèvres s'entrouvrent sur l'éclat nacré des dents. Sans dont s'amuse – t- elle de ma surprise. Ce n'est ni la Faïna d'avant, que je vois en face e moi, ni non plus la Faïna de ces derniers jours».[2]

فـــ «صُلْح» متواجد هنا حتّى تهتدي فاينة إلى طريقها، وتجد ضالّتها، وتتصالح مع ذاتها أوّلاّ، ومع العالم من حولها آخرا. وعليه فإنّ اسم «صُلْح» قد قدّم أوّل معطى يُؤسس مصدرا حقيقيا للمؤشّرات الدّالة الّتي تضع هذه الشّخصيّة والسّرد في سياق اجتماعي وتاريخي معيّن، يقودان إلى قراءة النّص.

✓ اسم «بُرهان»(Borhan):

يُقابل اسم «بُرهان» في اللّغة الفرنسيّة لفظة «Preuve» الّذي يُحيل على ألفاظ: برهان، حجّة، دليل، إثبات... في اللّغة العربيّة، وهو أوّل مؤشّر مقدّم لهذه الشّخصيّة، وقد وردت لفظة «بُرهان» في معجم «المعاني الجامع» بمعنى الحجّة البيّنة الفاصلة،

[1]– Ibid. P 209.

[2]– Ibid. P 54.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

وجمعها: براهين، والبُرهان هو الحجّة القاطعة والدّليل الواضح، [1] مصداقا لقوله جلّ جلاله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[2] وقوله عزّ وجل أيضا: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾.[3]

فمن خلال التّدرج في قراءة رواية «ثلوج من رخام» تظهر شخصيّة «برهان» بصورة مغاربي مغترب – شأنه شأن «عايد» و«صُلح» –؛ حيث تتابع البراهين في النّص مؤكّدة حرص زوجته/ طليقته «روسيا» على مصادرة حقوقه الأبويّة معتمدة في ذلك على قوانين بلدها، ليجد «برهان» نفسه في كلّ مرّة مجبرا على الرّجوع إلى نقطة الصّفر:

«Je retourne donc à mon point de départ, toujours de départ, d'errance. Je reviens voir Roussia, voir Lyyl, et je repars. La loi sur les étrangers ne veut pas que je reste plus Longtemps».[4]

ترفض «روسيا» اقتسام الطّفلة معه، تستخدم كلّ الوسائل لإبعادها عنه دون حرج، مستسيغة كلّ الذّرائع في سبيل تحقيق مبتغاها، وللتّعرف على بعض البراهين الّتي تؤكّد ما سبق، نقرأ المقطع الآتي:

«Nous Sommes dans une période de vacances, presque plus aucun enfant ne fréquente l'école-garderie, qui n'a certes pas fermé ses portes : il faut cependant que Lyyl y sort conduite et de bonne heure le matin, si bien que je ne la vois pas de la journée».[5]

---

[1]– معجم المعاني الجامع. يُنظر: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/برهان/

[2]– سورة البقرة، الآية: 111.

[3]– سورة النساء، الآية: 173.

[4]– Ibid. P 168.

[5]– Ibid. P93 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

حرصت «روسيا» على الرّغم من معرفتها بأنّ «برهان» موجود لفترة محدودة، ورغبة «ليبل» كبيرة في البقاء معه، والاستمتاع بإمضاء أكبر وقت معه في البيت، إلاّ أنّها كانت دائما حريصة على إبعادها عنه بطريقة، أو بأخرى، لذا لن يكون بوسعنا إلاّ تتبّع المؤشرات النصية حتّى نتعرّف أكثر على معاناة هذه الشّخصيّة الرّجاليّة.

✓ «روسيا»(Roussia):

أصل اسم روسيا هو «ماروسيا» (Марýся)، على حدّ قول «برهان»:

«Roussia ne s'appelle pas Roussia en fait, elle s'appelle Maroussia».[1]

وهذا ما يُقدّم إشارة صريحة عن أصل هذه المرأة؛ لأنّه اسم روسيٌّ أصيل.

«Russe, rousse».[2]

إنّ اسم «ماروسيا» أو «مارشا» في اللّغة الرّوسيّة ما هو إلاّ تصغير لاسم «ماريا»، ♦ في حين يكون اسم «روسيا» بمثابة اختصار أطلقه «برهان» عليها؛ فحبه ألزمه ترخيم اسمها مؤكدا بهذا الصنيع تعلقه بها، ومؤكّدا في الوقت نفسه انتماءها إليه، لنقرأ:

«Mais je l'ai appelé ma Roussia au début et ce nom Roussia lui est resté. Il lui est resté pour moi ».[3]

---

[1]– Dib (Mohammed): **Neiges de marbre**. P24 .

[2]– Ibid. P24 .

♦ تُختزل الأسماء الطّويلة في اللّغة الرّوسيّة باللّجوء إلى تصغيرها، نحو: ألكسندر ← ساشا، فالنتين ← فالا، ميخائيل ← ميشا...

[3]– Ibid. P24 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

يُنطق اسمها «Ma – Roussia» «ماروسيا»؛ أي «روسيّتي»، ويعني باللّغة العربيّة «المرأة الروسيّة الّتي تخصّني، أو خاصتي، أو تنتمي إليّ»، عشق «روسيا»، وهذا التّملّك الّذي لم يقوَ «بُرهان» على التّخلّص منه، لكن بعد انفصال الزّوجين لم يعد بمقدور بُرهان مناداتها إلاّ باسم «روسيا»، الّذي يحيل في اللّغة العربيّة إلى «امرأة ذات أصل روسي»، فتنكير لفظة امرأة يجعل «روسيا» تظهر بمظهر الغرابة، وعدم التّعريف؛ لتُصبح في نهاية المطاف امرأة غريبة عن «بُرهان»، وغير معروفة عنده.

✓ اسم «ليل» (Lyyl):

اسم غامض من جهة، وموحٍ من جهة أخرى بالنّسبة للقارئ الغربيّ؛ لأنّه لا ينتمي إلى حقله المرجعيّ المألوف. إنّ أوّل ما يلفت انتباه القارئ في اسم شخصيّة الطّفلة هو توالي أحرف اسمها وتكرار حرف الياء، وهو ما ينتج تنغمة مرتبطة بتردد حرف اللام واستطالته، وأمام هذا التناسق الصوتي والبصري أيضا نجد السارد قد أبرز هذه الخاصية في الجانب بالطباعي، حيث يكتب اسمها بالأحرف اللاتينية الكبيرة (Lettres majuscule)، على النحو التالي :

«L, Y, Y, L».[1]

أو عندما يكتُبه متّصلا «Lyyl»، نحو قوله:

«Ça, c'est ton nom, Lyyl».[2]

تُقرأ لفظة «Lyyl» المحيلة على اسم الطّفلة في الواقع طَرْدًا وعَكْسًا، كما تُوضِّح ملاحظة السّارد:

[1]– Ibid. P 190.

[2]– Ibid. P 190.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

«prend – le d'un côté ou de l'autre, à l'endroit ou à l'envers; il reste le même».[1]

حيث يُؤكّد فعل الحالة «rester»، تلك الهالة الدّائمة الّتي يتمتّع بها هذا الاسم؛ أي إنّه يُمكن أن يُقرأ من اليسار إلى اليمين (اللّغة الفرنسيّة)، أو يُقرأ من اليّمين إلى اليسار (اللّغة العربيّة)؛ لأنّ الطفلة «ليل» ثمرة زواج مختلط، فهي ابنة لامرأة تعكس صورة الشّمال البارد، وأب تمتدّ جذوره إلى الجنوب الحار.

وباستحضار القراءة العربيّة، يحيل اسم «ليل» على لفظة «الليل»، الّتي تشكلّ – من خلالها– اسم «ليلى» العربيّ، وهو رمز للانتماء الجنوبي والشرقي أيضا، أو أنه إحساس لا شعوري بجمال هذا الاسم الذي أضحى رمزا للعروبة والجمال المشرقي بصفة عامة . وقد ارتبط هذا الاسم في الذاكرة الجمعية العربية بملامح معينة للمرأة المشرقية الت كثيرا ما تذكر في الروايات والرحلات الغربية على أساس أنها مصدر للمتعة .

وقبل نهاية الرّواية بأربع صفحات يُطلعنا السّارد على سرّ من أسرار اسم الطّفلة الذي اكتنفه غموض شفاف في ثنايا الرواية، وذلك في قوله :

«Dar linn do. Darling Dodo. Celle dont le nom s'écrit Lyyl et se prononce Lûûl».[2]

فكتابة اسم الطّفلة لا تتوافق مع طريقة نُطقه وقراءته، وهذا ما يُعرّف القارئ على وجه جديد من وجوه هذا الاسم؛ لتتشابك خيوط الدّلالة، وتختلط مسالك المعنى من جديد عندما يتعلّق الأمر بـــ «الاسم السّريّ».

[1]– Ibid. P 190.

[2]– Ibid. P 214.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

تتّضح رمزيّة «الاسم السّريّ» الموظّفة في جزئي ثلاثيّة الشّمال السّابقين –بوجه خاص– في رواية «ثلوج من رخام» مع شخصيّة الطّفلة. والملاحظ أنّ التّسميّة في روايات «ثلاثيّة الشّمال» لم تكن بريئة، ولا اعتباطيّة؛ لأنّها تبدو منتقاة وفق طريقة مدروسة وواعية، فأغلب الشّخصيّات تُحيل بشكل مباشر على الشّخصيّات الّتي تحملها، وهي خاضعة بدقّة متناهية إلى الوظيفة الّتي وُكّلت إلى الشّخصيّة المقصودة بها، هذا في حدّ ذاته يعد جزءا من البناء التّام والعام لملامح الشّخصيّة، وتحديد إطار حركتها عبر الخطاب السّرديّ؛ حيث أولى **محمّد ديب** أسماء شخصيّاته الرّوائيّة عناية كبيرة، وخصّها بأهميّة بالغة، حينما أسند إليها مهمة إبراز الشّخصيّة الرّوائيّة، وتحميلها بمختلف الدّلالات الّتي رغب في التّعبير عنها على مدار جل متونه الرّوائيّة.

تظهر الأهميّة القصوى الّتي يوليها **محمّد ديب** لاختيار أسماء شخصيّاته الرّوائيّة، حينما أمّن النّظام اللّساني لاسم العلم الممنوح لكلّ شخصيّة من شخصيّات «ثلاثيّة الشّمال» الرّوائيّة وظائف جديدة داخل متن النّصّ؛ حيث أسهم اسم العلم في بناء واستنتاج المعنى، من خلال محاولة تحديد القرّاء لهويّة الشّخصيّة انطلاقا من مختلف القراءات المحتملة؛ فـــالاسم – على حدّ قول «ليلي بال» – «هو المصباح الّذي يُنير وجهك ولكن نوره يمكن أن يخفي حقيقة وجهك ولا يظهر غير القناع»؛[1] فكلّما تخلّص اسم العلم في «ثلاثيّة الشّمال» من رمزيّته أعاد بناء أخرى، هذه حال كلّ الأسماء الشّخصيّة في روايات «ثلاثيّة الشّمال»، ليكون اسم العلم بذلك من بين العناصر الأساسيّة الّتي تكتسب الشّخصيّة الرّوائيّة أهميتها من خلاله.

[1]– ديب (محمّد): **غريبة الثّلج والرّمال**. تر: عبد الرّزاق عبيد، د. ط، دار سيديا، الجزائر، 2011، ص 56.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة: 665– 692 تاريخ النشر: 30–09–2019

إذًا تُتيح الأسماء المنتقاة من طرف الكاتب، وإحالاتها وتفسيراتها المختلفة للمتلقي إمكانية إيجاد علاقات بينها وبين الشّخصيّات الّتي تحملها وحكاية النّص، فأسماء الشّخصيّات الورقيّة في «ثلاثيّة الشّمال» لها أبعادها الدّلاليّة والحضاريّة، والّتي تُجسّد انتماء الكاتب الاجتماعي والحضاري، وتبين عن ثقافة محوريّة في تكوينه، فقد تخدعنا الشّخصيّات بأسمائها الغربيّة، لكنّنا سرعان ما نجد ذلك منافيا لدلالاتها النصية والسياقية أيضا. فالأسماء في الأعمال السردية مختارة بوعي كبير، ولها بعدها الإيديولوجي والجمالي والنفسي والاجتماعي، كما أنها تحمل رمزية كبيرة تجعلها منفتحة على التأويل . وقد أثبت النقد الحديد والمعاصر أن الشخصيات الجاهزة والتي يكون مرجعها الواقع المعيش هي شخصيات ساكنة، في حين تكتسب الشخصيات الورقية سمات جديدة تؤهلها لأن تكون نامية، ووظيفية، ومفاجئة في تصرفاتها ومواقفها، وهذا ما يحرك اللذة القرائية عند المتلقي .